أي أيامك أروع يا جمال؟

أيوم نفخت في الصور يا ثائر فبعثت شعبنا من رمسه..

أم يوم قذفت بفاروق في البحر يا قائد فطهرت أرضنا من رجسه.؟.

أم يوم صرعت الإقطاع يا مصلح فأنقذت قومنا من بؤسه.؟

أم يوم أعلنت الجمهورية يا عظيم فاستخلصت عرشنا من غاصبيه.؟

أم يوم حققت الجلاء يا بطل فاسترجعت استقلالنا من سالبيه.؟

أم يوم أممت شركة القناة يا رئيس فاستردت مالنا من ناهبيه؟.

كل يوم من هذه الأيام الستة ملحمة فريدة فصولها آيات بطولة، وتاريخ حافل صفحاته سجلات مجد، ومعركة فاصلة تنتهي بعهد وتبتدئ بعهد !.

وإن أيامك يا جمال من أيام الله وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون !.

سمعتك يا جمال وأنت تخطب في الإسكندرية خطبتك الأخيرة الخطيرة فتلقى في سمع الزمان أقوالك بالحق، القاطعة بالعزم، القوية بالإيمان، وأقطاب العالم كله سكوت حول الراديو يستمعون لما تقول، ويهتمون بما تقرر، ويتخوفون مما ترمي، ويتشاورون فيما نريد، فتذكرت رجلين كنت أسمعهما وأنا في عهد الشباب يتكلمان فينصت الدهر وتميد الأرض وتخشع الدول وتهتز أسلاك البرق وتفيض أنهار الصحف، أحدهما السير إدوارد جراي في لندن، والآخر الإمبراطور غليوم في برلين. وربما كان التصريح الذي أعلنه هذا، أو الخطاب الذي ألقاه ذاك، عبثا من العبث. أو يخفا من السخف، ولكن قوة الكلام من قوة المتكلم. فالأول كان وراءه أقوى أسطول في البحر، والثاني كان وراءه أقوى جيش في البر.

وأراك يا جمال بلغت اليوم ما بلغ ذانك الرجلان من غير أسطول كان من بعض قواده نلسون، ولا جيش كان من أقل جنوده هتلر !.

فبأي شيء بلغت هذا المبلغ في أربعة أعوام وقوى الشر كلها في الداخل وفي الخارج كانت حربا عليك؟.

قل بفضل الله الذي اصطنعك واصطفاك، وبفضل الله الذي كفاك من السوء ما كفاك، وبفضل الله الذي أرشدك ورعاك.